



فلسفة اليسار في النضال الاجتماعي والتحرير؛

قضية الجزائر أنموذجا بين 1954-1956،

د. جيلالي تكران

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف

Email :djilalitik@gmail.com

ملخص

لقد كان اندلاع الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954 حدثا مفاجئا للجميع من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار وقلب موازين اللعبة داخل تيارات الحركة الوطنية الجزائرية وباغت مكونات الإدارة الفرنسية من يمينها الى يسارها في الجزائر وباريس. ولم تتمكن هذه الأخيرة رغم إمكانياتها المادية والبشرية الأمنية والعسكرية من استشعار نبأ الخطر وتطويقه، فراحت جميعها توجه الاتهامات نحو العدو التقليدي لوجودها بالجزائر، ممثلا في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وزعمائها المعروفين لديها. ودرج على نفس المنوال المسؤولين السياسيين والعسكريين بمختلف مواقعهم في الجزائر وباريس وزادهم سخط المستوطنين وترسانتهم الإعلامية بأنواعها في تشريح الحدث حسب قناعاتها إصرارا على اجتثاث جذور الأحداث وقتلها في المهد بكل الطرق الممكنة. وضمن هذا السياق المحتدم بتسارع الأحداث والتصريحات والترددات والارتباك لدى الجميع، جزائريين وفرنسيين، انخرط اليسار في الجزائر أحزابا وتنظيمات مهنية بموقفها من الأحداث الجارية، وفق منظورها الفلسفي الايديولوجي الذي تزعمه الحزب الشيوعي الفرنسي بباريس وصداها في الجزائر على لسان الحزب الشيوعي الجزائري والنقابات اليسارية في الجزائر والمناضلين المنخرطين فيهم.

الكلمات المفتاحية: الحزب الشيوعي الجزائري؛ الحزب الشيوعي الفرنسي؛ الثورة التحريرية؛

الإدارة الفرنسية؛ الحركة الوطنية الجزائرية؛ حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

Philosophy of the left in social struggle and liberation The case of Algeria as a model between 1954-195 Abstract

The outbreak of the liberation revolution, 01-11-1954, was a surprise event , for all , from the far right to the extreme left .It overthrew upside down the balance of the game within both the Algerian national movement and the French administration and so did its left ; either in Algeria or Paris. In spite of its financial, human and security capabilities, the latter (France) was unable to sense the danger and encircle it. so it resorted to accusations against the traditional enemy of its presence in Algeria, represented by the movement of victory for democratic freedoms and its well-known leaders. In the same way, the french political and military officials in various locations in Algeria and Paris increased the discontent of the settlers and their media in the dissection of the event according to their convictions to root out the events and kill fighters in the cradle by any possible ways. In this accelerated context of events, statements, hesitations and confusion reached both Algerians and French .especially ;the left in Algeria as parties and professional organizations engaged in its position of current events, according to the ideological philosophical perspective led by both the French Communist Party in Paris and the Algerian Communist Party in Algeria besides leftist unions in Algeria And their militants involved finally. Key words : Algerian national movement, Algerian Communist Party, the French Communist Party, the liberation revolution, the French administration.

مقدمة :

لقد كان الغموض والحيرة والارتباك سيد اللحظة عند اندلاع الثورة التحريرية ، ولم يستثن حتى هؤلاء الذين كانوا على صلة عضوية بالتنظيمات المهنية والنشاط الاجتماعي وعلى معرفة نضالية بالنشطاء الثوريين داخل حركة الانتصار . اذ يصور بوعلام بورويبة مشهد انفجار الثورة التحريرية بالقول أنه ذهب غداة تفجير الثورة لملاقة عيسات إيدير في المساء خارج المكاتب ومقار الاجتماعات العادية ليستعلم منه حول ما يجري من أحداث , وكان عيسات إيدير - على ما يبدو حسب رواية بورويبة بوعلام - أكثر دراية بما كان يحدث لاطلاعي على ما يجري ورغم علمه بالكثير من الأمور إلا أنه فضل عدم الإفصاح عنها ورد على تساؤل محدثه بإجابة سطحية وتملصية لأن السرية كانت تقتضي ذلك , لكنه لم يخف تخوفه حول مصير الثورة وهو

شعور "كنا نتقاسمه في غالبيتنا كأعضاء في اللجنة المركزية للشؤون الاجتماعية والنقابية وكنا محل مراقبة شديدة من طرف السلطات الفرنسية الأمنية , وما زاد الأمر صعوبة هو قلة الأخبار التي لا تسمح لنا بوضع حصيلة دقيقة لبناء موقف سليم" ومنع عن المناضلين الاجتماع في الحركة بساحة شارتر Charter فلجأوا الى الالتقاء في المقاهي أو الدكاكين أو المخابى أو لدى بعض المناضلين وأحيانا في زوايا الشوارع¹.

إذا كان الحال بالنسبة للمناضلين الجزائريين فان بقية التنظيمات النقابية والتشكيلات السياسية اليسارية في الجزائر فستدلي بمواقفها حسب قراءتها الخاصة للأحداث الجارية وخلفياتها الفكرية وقناعاتها وبناء على تطورات الوضع وسياسة القمع الفرنسية التي مست أعضاء ومناضلي الأحزاب السياسية والتنظيمات الاجتماعية والمهنية , وستحدث تطورات الثورة في وسطهم تحبطا كبيرا , من حيث التجانس في قراءة وتحليلها وإبداء مواقف موضوعية وحيادية بشأنها , فلا هي قادرة على إقناع منخرطيها من الجزائريين والأوروبيين بوهم الوطن المختلط , ولا هي قادرة على تجسيد المبادئ اليسارية في التضامن والتكافل والعدالة الاجتماعية بين العنصرين , وكشفت الثورة التحريرية عن عقم الايديولوجيا في حل مشاكل شعب مختلف عرقيا في بيئة تزرع تحت الاستعمار .

1- موقف التنظيمات المهنية اليسارية الفرنسية من اندلاع الثورة التحريرية:

برزت التناقضات الداخلية للنقابات الفرنسية بالجزائر مع أدبيات برامجها الحزبية من خلال بلاغاتها الإعلامية بخصوص اندلاع الثورة التحريرية, إذ دانت الكونفدرالية العامة للشغل الأحداث التي جرت ليلة أول نوفمبر 1954 ووصفتها بالمنعزلة ومناهضة للأعمال الفردية التي لا تسندها الجماهير الشعبية بكل فئاتها حسب تصريح الأمين العام للنقابة السيد : "بينوا فراشون Benoit Frachon" في 01-

1 Boualem Bourouiba , Les syndicalistes algériens , leur combat de l'éveil à la libération nationale 1936- 1962 , co-édition Dahleb-ENAG ,Alger, 2001, p 155 .

11-1954 " كأمين عام الكونفدرالية العامة للشغل ثم يستدرك بالقول " لم آت كمسؤول الطبقة العاملة الجزائرية , لكم مسؤوليكم ومنظمتكم المستقلة " وشكل هذا التصريح دعما للمعنيين النقابيين في الجزائر لأخذ مبادرات مستقلة بعيدة عن التأثير المركزي بفرنسا¹ أما النقابة الوطنية للمعلمين فدعت في بيان لها الى ضرورة تطبيق الإصلاحات وتوقيف كل الضالعين في الأحداث الأخيرة وتسليح الموظفين والنقابيين مبدية موقفا حازما لضرب الثورة بكل قوة قبل اتساع دائرتها .

أما نقابة " القوة العاملة " و " الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين " فطالبتا بالقضاء على المغامرين , ولا ترى هتان الأخيرتان مانعا من تنظيم مجموعات للتدخل والدفاع الذاتي . أما " الأصدقاء " الفرنسيين الذين لهم علاقة بالمناضلين الجزائريين فكانوا يسخرون من الثوار الجزائريين بالقول مثلا " سوف تذهبون الى المغامرة وفرنسا قوة عسكرية كبيرة و لا يمكنكم مواصلة الكفاح لوحدهم وليس لديكم إطارات , سيقبض عليكم وستقتلون ... " ² . الأمر الذي يضع المنخرطين الشيوعيين الجزائريين ونظرائهم الأوربيين وفلسفة التحرير الاجتماعي والسياسي للجزائر على المحك مع تطور احدث الثورة وردود الفعل الفرنسية .

سافر - غداة أول نوفمبر 1954- كل من قايدي لخضر , دريس أوجينة³ , أوندري رويز وبينوا فراشون الى تونس للمشاركة في أشغال مؤتمر الاتحاد الاشتراكي

1 Boualem Bourouiba , op cit , p 156 .

2. محمد فارس ، ابحاث في تاريخ الحركة النقابية الجزائرية ، جذورها ، تطورها ، مراحلها حتى 1962 ، مجلة من تاريخ الحركة النقابية الجزائرية (الاتحاد العام للعمال الجزائريين) ، ط1 ، الجزائر ، 1989 . ص 137
3 ولد بشرشال في 17-12-1921 بدا نضاله بالبلدية سنة 1945 في حركة الانتصار وحركة احباب البيان والحريية وعضو نشط في صفوف ك.ع.ش لفرع المواد الكيماوية واصبح عضو في لجنة الشؤون الاجتماعية والنقابية سنة 1947 واصبح مسؤول عمال الارصفة بالعاصمة ومؤيدي الوحدة النقابية مع الشيوعيين وقام بجهود لهيكله العمال الزراعيين مع مصطفى سعدون في اطار ك.ع.ش و في 1953 ترقى الى امين مساعد للخضر قايدي وعند تحول نقابة الشيوعيين الى إ.ع.ن.ج اصبح امينا مساعدا وكان ممن نددوا بميلاد مركزيات وطنية داعيا على صفحات جريدة العامل الجزائري الى الوحدة ونبذ التفرقة العنصرية بتاريخ 08-12-1955 وظل وفي خطه السياسي والنقابي الشيوعيين . انظر: René Galissot , Algérie colonisée , Algérie algérienne 1870-1962 , la republique française et les indigènes , édition Barzakh , Alger , 2007. , op cit , p 496 .

للعمال التونسيين الخصم العنيد للاتحاد العام للعمال التونسيين وبعده اتجهوا نحو باريس لحضور اجتماع اللجنة الفدرالية الوطنية لنقابة الكونفدرالية العامة للشغل حيث لوحظ لامبالاة المؤتمرين بما يحدث في الجزائر . وان ما يسمونهم فلاقة , قطاع الطرق وعصابات هم في الحقيقة ممثلي طليعة الشعب الجزائري هم نتيجة السياسة العمياء التي انتهجتها السلطات الاستعمارية والتي دفعت الشعب الجزائري الى حمل السلاح , وجدير بالذكر أن المناطق التي وقعت فيها تلك الأحداث توجد ضمن المناطق التي وقع فيها الاستغلال البشع ولم تتوقف فيها مقاومة المحتلين . وأن الحاضرين غير ملمين بما يجري هناك من تمييز عنصري تجاه العمال الجزائريين وأن قادة الكونفدرالية العامة للشغل مجهلون المسألة التي يعاني منها 10/9 من الشعب الجزائري رغم المقالات التي تنشر على صفحات الجرائد مثل : الجزائر الجمهورية ، ليبرتي ، العامل الجزائري، الجمهورية الجزائرية والعامل الجزائري لعدة سنوات والتي تعالج قضايا اجتماعية واقتصادية للجزائريين إلا أن واقعهم عند هؤلاء كان مجهولا تماما وان المناضلين الجزائريين كانوا مهمشين عن المناصب الحساسة داخل هياكل التنظيمات وبعيدين عن مواقع التأثير في القرار وأختتم المؤتمر بتوصية يدعو فيها الى دعم كفاح العمال الجزائريين¹ كما تؤثر سياسة اللامبالاة لواقع شريحة واسعة من الجزائريين عن خلفية قادة التنظيمات العنصرية والاستعمارية وان مبادئ الايديولوجيا اليسارية الفرنسية قد كشفتها وقائع الثورة التحريرية في الجزائر .

تلك هي الحقيقة الصادمة للجزائريين الشيوعيين الذين علقوا آمالهم على كفاح مشترك يتجاوز العرق والدين واللغة لكن الواقع أطمأ اللثام عن موضوعية الأحداث التي لا تقبل المزايدة . وما عقد الأمر الكونفدرالية العامة للشغل هو تركيبها العرقية وخضوعها للحزب الشيوعي الفرنسي² .

1 Boualem Bourouiba , op cit , p 157 .

2 Ibid , p 156 .

2- موقف الشيوعيين الجزائريين ونقابتهم من اندلاع الثورة التحريرية :

لقد كانت عمليات أول نوفمبر 1954 في كامل التراب الوطني مباحثة للجميع ولم يشذ عنها أعضاء الاتحاد العام لنقابات الجزائر منتظرين اجتماع الحزب الشيوعي الفرنسي والبيان الذي صدر في 08-11-1954 جاء فيه " وفاء لتعاليم لينين فإن الحزب الشيوعي الفرنسي لا يوافق على اللجوء الى الأعمال الفردية التي توحى بمؤامرة ذنيئة استعمارية ان لم تكن صادرة عنهم , وتطمئن الشعب الجزائري بتضامن الطبقة العاملة الفرنسية في الكفاح ضد القمع والدفاع عن حقوقه " . وأصدر الاتحاد العام لنقابات الجزائر بيانا في 02-11-1954 ذكر فيه ان الأحداث التي جرت ليلة أول نوفمبر ناتجة عن يأس عميق للطبقة الشغيلة فضلا عن تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي أثقلت كاهل الجزائريين وطالبت بتحليل جدي للأوضاع وتلبية المطالب الوطنية للجزائريين في إدارة شؤونهم والحق في التمدرس وتطبيق بعض المواد التقدمية في دستور الجزائر 1947¹

لقد أبدى الأمين العام للاتحاد العام لنقابات الجزائر السيد اوندري رويز² موقفا حذرا تجاه عمليات أول نوفمبر بالقول " لا يمكن للحركة النقابية إبداء موقف تجاه أحداث أول نوفمبر إلا بعد تحليل عميق للوضع عندئذ يمكن لها اتخاذ موقف يتلاءم مع مصلحة الحركة الوطنية وضد الاستعمار وان أفضل وسيلة للمساهمة في كفاح

1 François Weiss , Doctrine et actions syndicales en Algérie ,Bécañçon, 1 Imprimerie Moderne de l'Est, 1970. , p 28 .

2 ولد في سنوات الحرب العالمية الأولى في الحدود الجزائرية المغربية قرب بشار، مفتش البريد والاتصالات ، أمين عام ك.ع.ش سنة 1949 ، عضو الحزب الشيوعي الجزائري ، قاد إضراب عمال الموانئ 1952-1953 ضد الحرب في فيتنام ، تقاسم الأمانة العامة لنقابة إ.ع.ن.ج مع لخضر قايدفي في جوان 1954 ، شارك في الثورة التحريرية أوقف في 25-08-1958 وسجن ببارباروس وحصل على الجنسية الجزائرية وأصبح مديرا البريد والمواصلات بالعاصمة وتوفي بها في الستينيات بمرض السرطان. انظر : René Galissot , Algérie , Engagements sociaux et question nationale de la colonisation à l'indépendance , dictionnaire bibliographique du mouvement ouvrier Maghreb , Barzakh, Alger, 2007. ,p538

الشعب الجزائري هو زيادة كفاح العمال من اجل مطالبهم كالحرية النقابية , ورفض القمع , وازيادة الرواتب لخدمة الكفاح العام للشعب من اجل الحرية والاستقلال¹ . ويعبر "الاعتدال" في الموقف من الثورة عند الشيوعيين الجزائريين هو الأسلوب المطلوب لتحقيق المطالب الجزائرية والوطنية مدافعين عن خيار المراحل في الإطار الفرنسي ويتأكد موقفهم عند إدانة العنصرية وكل محاولة لتقسيم النقابة لإنشاء نقابة وطنية داخل النظام الاستعماري² . ويذكر لخضر قايدي أنه بعد أحداث أول نوفمبر 1954 تم تكثيف العمل لتلبية المطالب التي وردت في المؤتمر الخامس في جوان 1954 باستخدام الإضراب والمظاهرات وكسب ود الفرنسيين الى القضية الوطنية أو على الأقل تحييدهم وعدم تركهم يميلون الى المتطرفين الاستعماريين وطلب من عمال الموانئ عدم شحن أو تفريغ المعدات العسكرية الحربية الواردة إلى الجزائر ابتداء من منتصف 1955 والتأكيد أن مسألة الجزائر ليست مسألة اقتصادية واجتماعية بل قضية سياسية وأن الحل يجب أن يكون سياسيا وأقر هؤلاء بمحدودية النضال الاجتماعي والاقتصادي في بلد مستعمر³ .

افشل اندلاع الثورة التحريرية طموح الحزب الشيوعي الجزائري و الاتحاد العام لنقابات الجزائر في إقامة جزائر بجميع مكوناتها في كنف المساواة و متحررة من الاستغلال الاستعماري⁴ ولم يولوا اهتمامهم للعوائق الموضوعية في اندماج شعبين مختلفين , معتمدين على موقف يحفظ لهم الوصاية على الزبائنية لكل الأعراق للعب دور محوري ولا يرون في ثورة أول نوفمبر مظها من مظاهر الحرب التحريرية للإنسان والأرض . فقط الشيوعيون في الجزائر وحدهم هم الذين يملكون سرها وانتظروا

1 Mohamed Fares , Aissat idir ,documents et temoignages sur le syndicalisme algerien ,ENAP, Alger;1991; p 53.

2 René Gallissot , Algérie colonisée , op cit , p 198 .

3 Lakhdar kaidi , Une histoire du syndicalisme Algérien , entretiens de Nasser Djabi , édition , Alger, 2005 , p 191 .

4 Boualem Bourouiba , op cit , p 158 .

شهورا يعولون فيها على فشل التحرك ليأخذوا هم الدور بعد ذلك¹ ودأبوا على تسويق خطاب مزدوج لتجنب الصدامات بين المنخرطين الأوربيين والمسلمين ويكون مناسباً لطموحات كل مجموعة وهذا التآرجح على الحبلين جعل كل من الحزب والنقابة لا يصمدان أمام حقيقة تطورات ثورة التحرير².

وقد ظل الشيوعيون الجزائريون يترقبون تطور الوضع بما يخدم التكتيك الحزبي للإقدام على الانخراط في الثورة عند توقعوا نجاحها أو الرجوع بخطوة مماثلة في حالة احتمال فشلها وبقوا أسرى سياسة التخبط والتأرجح بين الثورة أو الإصلاح مما جعل التشريع العلمي للأحداث صعباً ومكلفاً للغاية الى أن تحل سنة 1956 ليندمج في قلب الكفاح بصورة ظلت غامضة للكثير من المؤرخين³ وتشربها حيرة واستفهاماً قوياً.

فرغم إقرار الحزب بالعوامل التي فجرت الثورة و بشاعة القمع الذي طال الجزائريين إلا أنه لم يستطع الإفصاح عن لب الأزمة السياسية التي كانت وراء عقم السياسة الاستعمارية وعدم تجاوز نظرتها العنصرية في حل جاد للأوضاع المزرية التي يعيشها الجزائريون⁴ ، إذ حاول المكتب السياسي للحزب الشيوعي الجزائري شرح الأسباب المؤدية الى اندلاع الثورة في بيان له بتاريخ 02-11-1954 نشر في جريدة الجزائر الجمهورية بنفس التاريخ ذكر فيه "أن سبب الأحداث التي وقعت ليلة أول نوفمبر في التراب الجزائري كانت نتاج سياسة الاضطهاد الاستعمارية و كبت الحريات والاستغلال في إطار التمييز العنصري والفقر والبطالة وعلى السلطات الرسمية

1 Ibid , p 156 .

2 Ibid , p 167 .

3 احمد عبيد ، على درب نضال العمال الجزائريين لتحقيق الاستقلال النقابي ابان الوجود الاستعماري ، مجلة أبحاث في تاريخ الحركة النقابية الجزائرية (دراسات وبحوث وشهادات تاريخية) ، طبعة 1 ، الجزائر 1989 . ، ص 42 .

4 جيلالي تکران ، موقف الحزب الشيوعي الجزائري من اندلاع الثورة التحريرية من خلال جريدة Alger Républicain ، مذكرة نهاية السنة الثانية ماجستير، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، إشراف د/ جمال قنان ، 1994-1995 ، ص 08 .

ضرورة الاعتراف بها اليوم ... ورغم تجربة فيتنام والمغرب الأقصى وتونس ما زالت الرسميون الفرنسيون مستمرين في معارضة الطموحات الشرعية للشعب الجزائري للحفاظ على امتيازات قلة من الملاك العقاريين الكبار وأصحاب البنوك وصناديق التأمينات موجهة الاتهام الى كبار المستوطنين وتحميلهم المسؤولية دون غيرهم رغم التجارب التي مروا بها في الدول الثلاث المذكورة .

ويضيف البيان في سياق رؤيته لطرق حل الأزمة التي شخصها في الفقرة الأولى مذكرا السلطات الفرنسية من أن القمع لم ولن يحل المسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تطرح أمام العالم المعاصر في ظل الصعود الذي لا يقاوم للحركات التحريرية الوطنية في العالم الثالث، كما وجه نقدا غير مباشر للوطنيين من أن العنف ليس سبيلا موفقا لحل الأزمة ، رغم إقراره بوجود أزمة سياسية وراء العنف ولكن الشيوعيين الجزائريين لم يأتوا على ذكرها عند تشخيص الوضع العام المفضي إلى انفجار الثورة .

ومن جانب آخر طرح الحزب الشيوعي الجزائري وصفة لعلاج الوضع غير المستقر معتقدا أن الحل الأمثل لتجنب إراقة الدماء هو إرساء مناخ الوفاق والسلم والاستجابة لمطالب الجزائريين بالبحث عن حل ديمقراطي لكل سكان الجزائر دون تمييز في العرق أو الدين مع الأخذ في الاعتبار المصالح الفرنسية¹ .

وهذا الطرح في معالجة الأوضاع بمنظور اندماجي لا يمس بواقع النظام الاستعماري جعل موقفه يوصف باللاحث في نظر غالبية الجزائريين، بل هي عودة بالأوضاع الجزائرية الى المربع الأول . وما يجعل دعوته في الفقرة الموالية من البيان المذكور أعلاه أن المكتب السياسي يدين العنف المصحوب بالرعب والإذلال العرقي وعنف ردود أفعال الصحافة الاستعمارية والتي تهدف الى دفع الأوربيين ضد المسلمين، داعيا الى التعايش في الجزائر على الإرث المشترك ودعوة الجزائريين دون تمييز في الأصول وخاصة العمال الأوربيين ألا يتأثروا بالدعاية المغلوطة للأوساط

1 Alger Républicain , No 3627 , 23-03-1955 .

الاستعمارية والتمعن في هذه الأحداث وتحليلها بشكل سليم ورفض كل خلفية عنصرية والمطالبة بإطلاق سراح المعتقلين التقدميين والديمقراطيين والمناضلين الذين أوقفوا تعسفيا¹.

ظل موقف الحزب الشيوعي الجزائري مرتبطا بموقف الحزب الشيوعي الفرنسي في تبعية تقليدية وأن سقف المطالب لديه لا تتجاوز الجانب الاجتماعي والاقتصادي دون الجانب السياسي الذي يعتبر أصل الأزمة ومفتاحها في الجزائر كما لم ينفرد الاتحاد العام لثقابات الجزائر عن الكونفدرالية العامة للشغل في إدانة العمليات العسكرية ليلة أول نوفمبر بحكم الترابط الإيديولوجي والبنوي فكرة وتركيبا وبقي كلا من الحزب والنقابة الشيوعيين صدى لصوت من الضفة الأخرى وبالتالي اقتنعت الطبقة الشغيلة الجزائرية أنه لا يمكن تحقيق تقدم في الحركة المطالبة داخل الاتحاد العام لثقابات الجزائر التي مازالت خاضعة لأوامر باريس والحزب الشيوعي الفرنسي². وأصبح لزاما البحث عن مركزية وطنية تستجيب لمطالب العمال الجزائريين بكل أبعادها .

3- الشيوعيون الجزائريون والبحث عن مخرج مشرف:

دعا الاتحاد العام لثقابات الجزائر الى تطبيق برنامج المؤتمر الخامس 24-06-1954 الأمر الذي فتح الرغبة لدى الحاكم العام جاك سوستيل في استغلال موقف التردد الذي ساد قسط كبير من الجماهير الشعبية والتيارات السياسية بهدف استمالتها حول طاولة مستديرة لمناقشة مشروعه الإصلاحية وتلبية المطالب المرفوعة لعزل جبهة التحرير الوطني عن العملية السياسية . وعليه طلب الحاكم العام حضور أوندرى رويز، ودريس اوجينة ، وقايدي لخضر أعضاء قياديون في الاتحاد العام لثقابات الجزائر بحيث عبروا للحاكم العام عن ضعف الإصلاحات الاقتصادية

1 للمزيد من التفاصيل انظر : جيلالي تكران ، موقف الحزب الشيوعي من ...، مرجع سابق ، ص 55-57
2 Boualem Bourouiba , op cit , p 168 .

والاجتماعية المعلن عنها في البرنامج الذي صدر عن مصالحه وأن أزمة الجزائر تتطلب حلا سياسيا فرد سوستيل : "توجد مشاكل في الجزائر وليس مشكلة الجزائر¹ .

وفي 01-02-1956 نشرت جريدة " العامل الجزائري Travailleur Algérien " التابعة ل الاتحاد العام لنقابات الجزائر مطالب العمال الجزائريين والمتمثلة فيما يلي :

- إدانة القمع ووقف التدهور الكارثي للاقتصاد وإيجاد شروط أفضل للعيش الكريم .

- دعوة كافة العمال الى الوحدة وتكثيف النضال لأجل تلبية مطالبهم الاقتصادية والاجتماعية .

- تحديد الأجر الأدنى المضمون ب: 25397 فرنك شهريا بمعنى 146ف/يوميا .
- رفع الأجور و التعويضات والتقاعد .

- المساواة في العلاوات الاجتماعية العائلية بين كل العمال دون تمييز وتوسيعها الى العمال الزراعيين² .

- الإلغاء التام للتفرقة العنصرية في كل المجالات بين مختلف أصناف العمال .
- إيجاد وظيف عمومي خاص بالجزائريين لمناقشة حل المسألة الجزائرية (من منظور اقتصادي اجتماعي) .

- على العمال التظاهر بكثافة بواسطة الإضرابات والتوقف عن العمل لتلبية مطالبهم العادلة والشرعية والعمل بنجد من أجل وحدة العمال يوم 01-05-1956 بساحة Foyer Civique على العاشرة صباحا³ .

1 Lakhdar kaidi , op cit , p 199 .

2 CAOM , UGTA en Algérie , 7G/ 1105 .

3 Boualem Bourouiba , op cit , p 186 .

وعلى إثر المطالب المرفوعة تم إحياء جولات الحوار وترتيب جولة ثانية من الاتصالات بين الحاكم العام الجديد Guy Mollet في فيفري 1956 مع ممثلين عن الاتحاد العام لنقابات الجزائر الذين لبوا الدعوة لطرح موقف الحركة النقابية من القضية الجزائرية وكان لا بد من معرفة موقف الحزب الشيوعي الجزائري الذي هو نفسه موقف الاتحاد العام لنقابات الجزائر وتكون الوفد من إدريس أوجينة و أوربي أمين المالية ومسؤول نقابة البريد والاتصالات السيد جين أوديافر (Jean Odiavre) للقاء في مولي ووزير العمل والشؤون الاجتماعية ألبير قازبي (Albert Gazier) وبادر الحاكم العام الجديد بالقول : " جئت من أجل السلام في الجزائر ولمعرفة رؤيتكم حول الوضع جئت لأسمعكم وأسمع ممثلي العمال والنقابات " فرد قايدي لخضر قائلا " إن موقف الحركة النقابية من القضية الجزائرية هي تلبية المطالب الوطنية للشعب الجزائري وتجنب ذكر استقلال الجزائر لأن النقابة تحوي عدة اتجاهات وأعراق التي تصطدم بالمصطلحات وتجنب النقابة القمع وذكرت أنه يوجد مشكل الجزائر .رد في مولي : توجد مشاكل في الجزائر . ثم قلت : الشعب الجزائري يحتاج الى الحرية , الديمقراطية وحرية إدارة شؤونه فرد في مولي : سكان الجزائر . وقلت له لقد اختلفنا على المصطلحات فكيف يمكن أن نصل الى السلام والحقائق هي إعطاء الشعب الجزائري حقوقه ولمعالجة المشكلة لابد من إجراء لقاءات مع الذين يكافحون ؟ ثم طرق الحاكم العام بأصابه على الطاولة وقال : أي ممثلين ؟ ممثلين للفلاحة ؟ قلت: ممثلي الذين يكافحون سيدي , قال في مولي : أنا دعوت ممثلي النقابة فإذا بي وجدت نفسي أحاور ممثلي الفلاحة مردفا بالقول : هل هذا موقف العمال ؟ أجبت : نعم ، لأننا منظمة ديمقراطية ونمثل العمال بشفافية وجزء هام من الشعب الجزائري ولا يمكن أن نكون خارج المعركة من أجل حريته وإدارة شؤونه "1 وانتهى اللقاء دون تقدم إيجابي.

1 Ibid , p 223 .

اطلع لخضر قايدي إدارة الاتحاد العام لنقابات الجزائر على فحوى اللقاء ثم كتب في افتتاحية الجريدة "العامل الجزائري" تحت عنوان " الشمس والغربال " فتم استدعاه الى المحكمة بدعوى المس بالأمن الداخلي والخارجي للدولة وتطبيق المادة 80 من قانون العقوبات الفرنسي¹.

وعقب بوعلام بورويبة على كلام لخضر قايدي بأن هذا الأخير كان يسعى للتغطية على الصعوبات التي يمر بها الاتحاد العام لنقابات الجزائر وتسيير إرادته في الوحدة داخل معركة صراع الطبقات بين الجزائريين والأوروبيين التي تكسرت على حقائق الثورة التحريرية وأنسحب الفلاحون والأوروبيون من النقابة بل أن بعضا منهم تحالف مع أقطاب الاستعمار , أما جماهير العمال الجزائريين فقد أصبحوا أكثر إحساسا بدعوات الانضمام الى الكفاح الوطني وأن الحركة المطلبية تجاوزها الزمن وأن التحرير الاجتماعي يكون عن طريق التحرير الوطني².

ويمكننا تلمس بدراسة نقدية لجولات الحوار التي تمت بين الحاكمين العامين السابقين وممثلي الاتحاد العام لنقابات الجزائر بعض الحقائق التالية :

1- استغلال الحكومة العامة لمناخ التردد والغموض الذي انتاب الشيوعيين في الجزائر والأحزاب السياسية الأخرى لأجل جس نبضها والوقوف على خلفياتهم ومواقفهم الحقيقية تجاه ما يجري من عمليات عسكرية في الجزائر.

2- اعتبار نقابة الاتحاد العام لنقابات الجزائر النقابة القانونية الوحيدة التي تنشط وسط قسط معتبر من العمال الجزائريين والتعويل عليها في تحييدها على الأقل وجذب المناضلين الأوروبيين لتفكيكها ولم يكن الاتصال بها مبنيا على أساس أنها نقابة ذات تمثيل قوي للحركة العمالية الجزائرية أو تشكل خطرا على الوجود الفرنسي في الجزائر.

1 Ibid , p 226 .

2Ibid , p 203 .

3- إدراك كلا من رئيسي الحكومة جاك سوستيل وقي مولي مدى تحبط الشيوعيين في الجزائر في تجاوز عقدة المجتمعين المختلفين عرقيا ودينيا فيما يتعلق بالحل السياسي للقضية الجزائرية وهو ما ظهر من خلال الاختلاف على المصطلحات الواردة في جولتي الحوار بين الطرفين .

4- اعتبار التمسك بالحل السياسي للأزمة الجزائرية في نظر الرسميين الفرنسيين هو بمثابة الخط الفارق والفاصل بين الوطنيين والشيوعيين الجزائريين ، إذ على أساسه يتم تصنيف الجزائريين بين معادي لفرنسا وصادق لها .

وأمام توسع عمليات جيش التحرير الوطني والتطورات السياسية وفشل سياسة المراوغة التي قادها الحكام العامون لاستمالة المترددين من الجزائريين ، سارعت السلطات العسكرية الى استخدام أسلوب القمع بعد عقم أسلوب الإصلاحات على المقاس الفرنسي وشنّت حملة توقيفات مست المناضلين البارزين والإطارات النقابية النشطة داخل الاتحاد العام لنقابات الجزائر في إطار قانون حالة الطوارئ الذي وافق عليه البرلمان الفرنسي في أبريل 1955 وتمّ اعتقال عدد كبير من مناضلي الاتحاد عبر الوطن وحل الحزب الشيوعي الجزائري في 13 سبتمبر 1955 ودخل ممن تبقى من مناضليه السرية .

لقد تشّتت مواقف الشيوعيين بسبب الثورة التحريرية ، و أصر كل طرف على المضي قدما لتحقيق هدفه فلا السلطة الفرنسية مستعدة لسماع صوت خارج مجموعتها ولا جبهة التحرير مستعدة للتراجع عن ما عاهدت به الشعب الجزائري في استرجاع السيادة الوطنية . وعندها بقي الحزب الشيوعي الجزائري ونقابته يسيران عكس التيار بل كانوا جزءا من عملية القمع والملاحقة والتوقيف¹ التي مست بعضا من إطاراتهم ومصادرة جريدة " العامل الجزائري "Travailleur Algérien" الذي طالته يد التوقيف في المطبعة يوم 13-10-1955 بحيث أصدرت بيانا تدين فيه المس الخطير

1 تم اعتقال قناطري عبد القادر (الاتحاد الجزائري لعمال الموانئ) وبريكي يوسف (امين نقابات قسنطينة) في سكيكدة ونقلوا الى سجن الجرف بالمسيلة انظر: . lakhdar kaidi , op cit , p 201

بالحريات الديمقراطية والنقابية وتحالف السلطات مع أرباب العمل في منع العمال للدفاع عن مطالبهم وتدجين الطبقة العاملة التي ظلت ترعج هؤلاء الاستغلاليين .

إن دعاوى الحوار والحل السلمي التي ظل الحزب ينشدها آلت إلى الفشل، وأن السلطة الفرنسية استهدفت من الاتصالات تحديد المواقع والمواقف لذلك التيار إما أن يكون جزءا من البرنامج الفرنسي أو جزء من برنامج جبهة التحرير الوطني . وأن مشروع الوحدة والحل الديمقراطي السلمي للمسألة الجزائرية الذي تسعى إليه نقابة الاتحاد العام لنقابات الجزائر هو موجود فقط في مخيال هؤلاء الشيوعيين وان هذا الخطاب تجاوزه الزمن وان فرنسا عمدت على إفشاله في محطات مفصلية عديدة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية في النصف الأول من القرن العشرين .

4-موقف الشيوعيين الجزائريين من ميلاد مركزيات وطنية :

ظن الشيوعيون في الجزائر أن نقابتهم تحظى "بتمثيل عمالي قوي" في القطاعات الهامة ولا يمكن لها أن تحمي تضحيات مناضليها الذين استفادوا من دعم النقابات الفرنسية¹ الأمر الذي جعلهم يغترون الى حين بقوتهم وأحقيتهم في تمثيل العمال الجزائريين ولم يدركوا بعد تلك التحولات العميقة التي مست العمال والشعب بعد 01-11-1954, ومن ذلك خبر -أرق الشيوعيين و قادة الثورة في نفس الوقت- إقدام المصاليين على تشكيل مركزية وطنية وأفقد الشيوعيين الجزائريين الصبر وأصابهم الخوف على مصير الحركة العمالية الجزائرية التي ظلوا يحتكرون قيادتها لفترة طويلة وللتدليل على أحقيتها في ذلك باشر الاتحاد العام لنقابات الجزائر إضرابا في 01-11-1955 شنه عمال الموانئ للامتناع عن نقل و تفريغ الوسائل العسكرية بغية إقناع جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية المصالية بوجود مركزية نقابية نشطة تدعم الكفاح السياسي التحرري وليس هناك داع الى إنشاء نقابة أخرى وتفكيك صفوف العمال لصالح الانتهازيين والمستوطنين حسب زعمهم وان تشكيل اية نقابة اخرى يعني بالضرورة تقسيم الحركة العمالية الجزائرية وإعطاء النقابة قوة عليكم

1 CAOM , UGTA en Algérie , 7G/ 1105 .

بالانضمام الى UGSA¹ وهو إتهام صريح للمصاليين الذين شقوا عصا الوحدة في الكفاح الوطني من خلال إنشاء USTA في 14-02-1956 وبالضلوع في مخطط تقسيم الحركة العمالية لصالح الغرب الرأسمالي كما يزعم هؤلاء² ويصف النقابيون الشيوعيون الجزائريون الحركات النقابية الحقيقية والثوريين الذين يدافعون عن الحقوق النقابية بأنهم يتحالفون مع فدرالية النقابات العالمية (FSM) ذات التوجه الشيوعي وليس مع الكونفدرالية العالمية للنقابات الحرة CISL التي تعتبر كل الحركات الثورية والتحررية حركة شيوعية ويسارية فهي حليفة للإمبرياليين ومعادية للحركات الشعبية³.

وتزداد وتيرة الملع وسط الشيوعيين , هاهو لخضر قايدي يكتب في جريدة " العامل الجزائري " بتاريخ 29-12-1955 " رغم وجود عدة منظمات انفصالية , لكن بقي الاتحاد العام لنقابات الجزائر المنظمة النقابية الوحيدة الجامعة لغالبية العمال الجزائريين دون تمييز في العرق أو الرأي وهذا يقلق الباترونا والاستعماريين .

ويستمر الشيوعيون الجزائريون في التشكي من اساليب الادارة الإدارة الاستعمارية في حز رأس المنظمة باعتقال المناضلين ومسؤولي النقابة وأن بعض العناصر تعمل الآن على إنشاء منظمة نقابية خارج منظماتهم الشيوعية⁴, ويرون بإنها مسألة خطيرة بالنسبة لهم وليس معقولا ولا مبررا تقسيم الحركة النقابية وأن العناصر التي اتخذت هذه المبادرة تتحدث عن إنشاء نقابة مركزية وطنية وهذه المركزية موجودة سابقا وهي الاتحاد العام لنقابات الجزائر .

1 Kaidi lakhdar, op cit , p 215 .

2 René Gallissot , Algérie , op cit , p 198 .

3 Lakhdar kaidi , op cit , p 210 .

4 في اشارة الى تحرك حثيث لعناصر مصالية وجبهوية لإعلان مركزية نقابية في الجزائر الا ان خلافات سياسية من حيث المبدأ جعلت مشروع وحدة نقابية بين خصمين سياسيين تبدو مستحيلة وعليه سارع المصاليون الى اعلان ميلاد مركزيتهم USTA.

وقد لاقت نقابة الشيوعيين هجومات قوية هددت وحدتها من خلال أدوات تابعة لعدة أطراف استغللتها لصالحها مثل نقابة " القوة العمالية " ونقابة الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين " والمصاليين ومن تلك الوسائل مثل الدعوة الى تجنيد المستوطنين لتشجيعهم على عملية تقسيم النقابة على أساس عرقي , و استغلال بعض النقابات عدم تفهم بعض العمال الأوروبيين لمشاكل الجزائريين ولاحظوا أن الوقت مناسب لإحداث انشقاق على مستوى القاعدة العمالية , و تسليط القمع على المناضلين والمسؤولين النقابيين¹.

لقد أصبحت عوامل التفكك داخل نقابة الاتحاد العام لنقابات الجزائر تتزايد يوما بعد يوم بتسارع التطورات العسكرية والسياسية نتيجة اتساع الثورة التحريرية . الا ان النقابة الشيوعية مازال يحدوها الأمل بمضاعفة عمل النقابة وسط العمال الأكثر حرمانا ومكافحة القمع الاستعماري وقد نبه المسؤول الثالث في النقابة جون أوديفر رفقائه الأوروبيين² بدعوتهم الى ضرورة توخي الحذر من أعداء الوحدة النقابية³ الذين يشطون تحت أشكال عدة مستغلين الخلافات الواقعة بين العمال الأوروبيين والجزائريين وان التقسيم هو السلاح الفعال للرأسماليين⁴ وأن الأحداث الجارية في الجزائر هي البيئة المثالية- في نظرهم- لنمو سياسة فرق تسد, فالشيوعيون الجزائريون يرون أن القضاء على الاستعمار يكون بالكفاح الاجتماعي في حين أن

1 Boualem bourouiba ,op cit , p 185 .

2. امين مال إ.ع.ن.ج في جوان 1954 ,عضو سابق في نقابة الكونفدرالية العامة للشغل عن البريد والاتصالات , عضو في الحزب الشيوعي الجزائري , بقي وفيها ومدافعا عن " حرية الشعب الجزائري في إدارة شؤونه " و " الحوار مع الذين يقاثلون " , حاول رفقة قايدي ودريس اوجينة انقاذ الوحدة النقابية في نهاية 1955 بعد إقدام المصاليين على تشكيل نقابة خاصة بهم وحذت حدوهم جبهة التحرير الوطني ودعا الأوروبيين الى ضرورة التمسك بالوحدة انظر: René Gallissot , Algérie , Engagements sociaux et question nationale de la colonisation a l'indépendance , dictionnaire bibliographique du mouvement ouvrier Maghreb , barzakh, Alger, 2007, p 495

3. CAOM , UGTA en Algérie 1957-1961, , 7/G1106 .

4 لم يبال الشيوعيون الجزائريون بمقترح جبهة التحرير في الوحدة في وقت سابق حسب نشرتهم الداخلية Informations syndicales بتاريخ 16-07-1956 وقدموا مرراتهم بذلك واعتبروا أنفسهم هم البيت الجامع للنقابات الوليدة وليس أن يكونوا هم أحد مكونات UGTA.

الجزائريين يرون أن تحرير الطبقة العاملة يكون بالكفاح الوطني¹ والاختلاف في القناعات يفضي بالضرورة الى الاختلاف في الوسائل والأهداف و حينها بات الانشقاق وشيكا والتلاشي محتوما وسط التنظيم الشيوعي الجزائري بين الجبهة والحركة المصالية.

إذ بمجرد إعلان الصحافة الاستعمارية عن ميلاد مركزية نقابية تابعة للحركة المصالية في 16-02-1956 بمبادرة من بعض مناضلي الاتحاد العام لنقابات الجزائر الذين لم يخفوا تدميرهم من توجه نقابتهم الشيوعية ومخاطر ذلك عليهم رغم مشاركتهم في هياكل إدارتها وأمانتها العامة, الأمر الذي دفع البعض الآخر من مسؤولي الاتحاد العام لنقابات الجزائر الى الاتصال بجبهة التحرير الوطني للضغط على نقابين قريبين منها² لتهدئة العملية وسبقت ذلك دعوات في أواخر 1955³ وبداية 1956 لتحويل النقابة المذكورة الى مركزية نقابية وعلى جبهة التحرير تحديد إدارتها المقبلة مع استعداد الشيوعيين تقديم خدماتهم في إدارة النقابة واذا كان لها رأي آخر فإن هؤلاء سينضمون الى الكفاح مع الجماهير⁴ ولم تكن المرة الأولى التي تقدم بها الشيوعيون باقتراحات حول مستقبل الطليعة الشيوعية وسط الجماهير, إذ راسلوا جبهة التحرير برسائل عديدة خلال سنة 1956 منها: رسالة 29 فيفري و 13 مارس و 29 مارس و 07 جوان مبررين ذلك بمخاطر إنشاء مركزيين جديدتين على وحدة الحركة العمالية الجزائرية لصالح الاستعمار والامبريالية . ولم تتبن جبهة التحرير اقتراحات الشيوعيين الواردة إليها من الاتحاد العام لنقابات الجزائر. وفي رسائل موجهة الى الشيوعيين من طرف جبهة التحرير الوطني تاريخ 07 مارس و 24 مارس

1. Boualem Bourouiba , op cit , p 185 .

2 في إشارة الى الأمين الثاني في نقابة إ.ع.ن.ج دريس اوجينة والعضو الأساسي في لجنة الشؤون الاجتماعية والنقابية التابعة لحركة الانتصار.

3 ان تودد الشيوعيين في مراسلاتهم الى جبهة التحرير لم يكن مبنيا على حرصهم الصادق في وحدة الحركة العمالية وإنما كانت هناك أسبابا قوية دفعته الى رفع شعار الوحدة النقابية وهي : انفضاض الجماهير العمالية عنه بما فيهم الأوربيون وحل PCA في 12-09-1955 ولم يعد له هيكلًا ينشط من خلاله فعرض خدماته على الجبهة بطابع المساومة الا ان FLN كانت على دراية بان الأحداث قد تجاوزته وباتت الطليعة تسير خلف الجماهير .

4. Boualem Bourouiba , op cit , 187 .

وبداية جوان 1956 تقطع فيه الشك باليقين أن المركزية الوطنية الوحيدة في الجزائر وهي الاتحاد العام للعمال الجزائريين و على التنظيمات النقابية حل نفسها وأن ينضم أعضاؤها فرادى الى الاتحاد العام للعمال الجزائريين وهي مفتوحة للجميع دون تمييز¹. أمام هذه المعطيات الجديدة تغيرت موازين القوى داخل الحركة العمالية الجزائرية وألتحق بميدانها مركزيتين جديدتين هما : الاتحاد النقابي للعمال الجزائريين USTA) تابعة لمصالي) والاتحاد العام للعمال الجزائريين UGTA) تابع لجهة التحرير الوطني). وتسابقت النقابتان على إرث النقابة الشيوعية "المحتضرة" التي فقدت المبادرة والقدرة على إدارة الكفاح الاجتماعي في الظروف الجديدة (الثورة التحريرية) وأثبتت محدوديتها واستنفدت طاقتها , تاركة المجال للنقابات الجديدة التي فرضت كل واحدة منها برنامجها النضالي وسط العمال.

رغم سعي الاتحاد العام لنقابات الجزائر إلى استغلال نجاح إضراب 05-07-1956 بإصدار بيان يمجّد تلك الحركة العمالية الجزائرية في الاستجابة لنداء الإضراب مشيرة الى مشاركة الأوربيين عمالا وتجارا لمدة 24 ساعة وتحمي المشاركين فيه بقدرة الشعب الجزائري على العمل الموحد لدعم المعركة الوطنية², إلا أننا لم نعثر على بيان للنقابة يدعو الى الإضراب الأنف الذكر سوى ذلك الذي يفتخر به وكأنه أحد صانعيه.

أما نقابة المصاليين لم تستطع استقطاب مناضلي الاتحاد العام لنقابات الجزائر في الجزائر , في حين أن الاتحاد العام للعمال الجزائريين من يوم ميلاده امتص تعداد مناضلي النقابة الشيوعية المقدر بـ: 45 ألف و بقيت 15 ألف أغلبهم أورييون . وعندئذ فقد الشيوعيون كل دور في قيادة النقابة , وزاد قرار الحاكم العام القاضي بانتفاء صفة التمثيل للنقابة الشيوعية في الهياكل الرسمية بعد ضعفه وتفككه و أن النقابة الشيوعية الجزائرية لم يعد لها تمثيل للحركة العمالية في الجزائر .

1. CAOM, UGTA en Algérie 1957-1961 , 7G/ 1106

2. CAOM , UGTA en Algérie , 7G/1105

أمام هذا الفراغ الذي خلفه الشيوعيين الجزائريين وسط الجماهير العمالية ، سارعت جبهة التحرير الى إنشاء مركزية وطنية تستوعب بسرعة التقدميين الأوربيين بجانب العمال الجزائريين في الكفاح الذي تقوده الجبهة ضد الاستعمار الفرنسي من أجل الاستقلال الوطني¹ ولم تقبل بوحدة العمل مع بقية المنظمات النقابية أو التيارات السياسية وإنما اشترطت الانضمام السلس والشفاف ولا ترغب في مناقشة شروط وحدة العمال وطالبت من الاتحاد العام لنقابات الجزائر حل نفسه وأن الحوار لا يكون سوى حول كيفية حل النقابات وانضمامها فرديا الى المركزية النقابية الجزائرية² وأن تخوف الجبهة من وحدة العمل قد تعطي مبرر لفرنسا باستخدام الشيوعية ضد الجبهة في إطار الحرب الباردة³.

لقد جرت لقاءات عديدة بين مسؤولي الحزب الشيوعي الجزائري (بشير حاج علي، صادق هجرس، قايدى لخضر) وعن جبهة التحرير (عبان رمضان وبن يوسف بن خدة) لدراسة مسألة المركزية النقابية وطلبت الجبهة من مسؤولي الاتحاد العام لنقابات الجزائر حل نقابتهم والانخراط فرادى في الاتحاد العام للعمال الجزائريين ، رد لخضر قايدى : "تجنبوا قدر الإمكان تقسيم وتمزيق الحركة النقابية وحققوا الوحدة التي توجد القوة والتي نكافح بواسطتها لتحقيق طموحات العمال المادية والمعنوية ومن أجل هذا نحن مستعدون لتحقيق الوحدة داخل مركزية نقابية وحيدة فقط بطرق ديمقراطية آخذين في الحسبان الظروف التي يمكن أن يوفرها الوضع لتقرير نشأة المركزية والتسمية والبرنامج والتوجه والتركيبة والقيادة ونحن مستعدون لكل التضحيات والتنازلات⁴.

وقد عبر بيان الاتحاد العام لنقابات الجزائر ، بعد تجربة اللقاءات مع مسؤولي الجبهة ، عن تدمره من ميلاد النقابة المصالية والمركزية الوطنية، معتبرا أن مسؤوليها

1 Boualem Bourouiba , op cit , p 158 .

2 François Weiss, op cit , p 32 .

3 Boualem Bourouiba , op cit , p 246 .

4 Lakhdar kaidi , op cit , p 235 .

كانوا ضمن إطار الاتحاد العام لنقابات الجزائر وأن نفس المطالب التي يدافعون عنها هي نفسها التي ظلت النقابة الشيوعية الجزائرية تدافع عنها , وأن هذا العمل يقود الى تقسيم الطبقة الشغيلة وأن المستفيدين الوحيدين من ذلك هم كبار الملاك والمستوطنين ودعا البيان عمال مدينة الجزائر الى إفسال التفرقة ودعم الاتحاد العام لنقابات الجزائر¹ .

لم يكن لجبهة التحرير الخيار والوقت الكافي لاستنساخ تجارب الماضي الممزقة لوحدة الصف الوطني ، في وقت تشهد فيه آلة القمع ضراوة ضد الجزائريين واستفحال الصراع السياسي بين المصاليين وجبهة التحرير الوطني ، فضلا عن تعارض المفاهيم بين الوطنية والدولية وانسحاب عناصر من النقابة الشيوعية إلى النقابة المصالية، مثل محمد رمضاني . وعليه لم يبق لهؤلاء الشيوعيين الجزائريين خيارا سوى القبول بالأمر الواقع والانضمام فرادى الى الجبهة مع بقاء الحزب والايديولوجيا واستفادت الجبهة من كوادر وأسلحة² الأمر الذي دفع روبرت لاكوست إلى حل الاتحاد العام لنقابات الجزائر في 11-12-1956 وانضم مناضلوها إلى الاتحاد العام للعمال الجزائريين³ بعد توقيع الاتفاق بين جبهة التحرير الوطني والحزب الشيوعي الجزائري على اتفاق التعاون والانخراط الفردي للمناضلين عسكريا ونقابيا في الكفاح الوطني تحت قيادة الجبهة في 01-07-1956 وألغيت كل النصوص والمرجعيات التي تربطها بالكونفدرالية العامة للشغل⁴ .

وانخرطت نقابة الشيوعيين الجزائريين منذ 26-07-1956 في "الفدرالية الاشتراكية الدولية" وغادر النقابة الشيوعية في الجزائر كل المنخرطين الجزائريين والأوروبيين لتعارض المصالح⁵ وانتشر مناضلي الاتحاد العام لنقابات الجزائر والحزب

1 CAOM , UGTA en Algérie , 7G/ 1105 .

2 Lakhdar kaidi , op cit , p 237 .

3 Boualem Bourouiba , op cit , p 271 .

4 Mohamed Tegui, L'Algérie en guerre , OPU,Alger, p 145 .

5 Boualem Bourouiba , op cit , p 237 .

الشيوعي الجزائري بين مصالح جيش وجبهة التحرير الوطني والآخرين تمسكوا بالنشاط السري في الحزب الشيوعي المحل¹ والبعض منهم شكل فصيل عسكري يدعى " جنود التحرير او الحرية " في حوض الشلف، إلا أن لخضر قايدي يورد رواية أخرى حول قرار الحل من أنه لم يتم بواسطة قرار من السلطة الفرنسية وإنما بإعلام مسؤولي النقابة عن طريق المحامين بحل الاتحاد العام لنقابات الجزائر ودعوة العمال الى الانخراط في التحاد العام للعمال الجزائريين بعد إضراب الثمانية أيام سنة 1957². وهي الفكرة الأقرب الى الحقيقة في ظل استمرار النقابة في إصدار بيانات ومناشير خاصة بها طيلة سنة 1956 وحتى ما بعد اتفاق الجبهة مع الحزب الشيوعي . أما من جانب القرار الرسمي من روبرت لاكوست فإن الحكومة العامة لم تكن لتعطي مصداقية ببلاغ رسمي لنقابة لم تعد موجودة وممثلة ميدانيا إلا على مستوى الخطاب فقط وهو ما ذكرناه انفا من خلال قرار الحاكم العام بنفي صفة التمثيل للعمال في الجزائر عن نقابة الشيوعيين الجزائريين .

ورغم ذلك ظلت الجبهة متحفظة من الأدوار التي يمكن للشيوعيين الجزائريين القيام بها داخل مؤسسات الثورة من باب إرثه السياسي في التعاطي مع القضية الوطنية خاصة أن الحزب الشيوعي الفرنسي كان من المؤيدين في البرلمان الفرنسي لقانون حالة الطوارئ 1955 ولم يبد تضامنه مع الثورة عكس ما كان يدعو إليه لدعم الفيتناميين ماديا وبشريا ورفض شحن الأسلحة نحو الشرق الأوسط وتنظيم مظاهرات ضد الحرب القذرة وهي عادة الشيوعيين في إتقان اللعب في كل الاتجاهات ، فمن جهة يقدمون الدعم المادي والتقني للثورة لأجل ضمان مناصب مهمة في الجزائر المستقلة ومن جهة أخرى يغضون الطرف عن الحكومة الفرنسية في اتخاذ إجراءات قمعية لإدامة الحرب في الجزائر وفي نظرهم أن ذلك يدمر الاقتصاد الفرنسي

1 بعد حل PCA حلت المنظمات التابعة له : اتحاد الشبيبة الديمقراطية الجزائرية واتحاد نساء الجزائر والإنقاذ الشعبي للجزائر والجمعية الجزائرية لأصدقاء الاتحاد السوفياتي وعلقت جرائده : Liberté و Alger Republicain . انظر : 7/G 1067 , Syndicats musulmans en Algérie , CAOM , 2 Lakhdar kaidi , op cit , p 253 .

ويضعف فرنسا ويحدث الفقر ويحضر البلد للشيوعية وفي كل شمال إفريقيا تحت مسمى الجمهورية الشعبية الجزائرية¹.

ومما لا شك فيه، أن انفجار الثورة التحريرية 1954، قد كشف عن حقيقة الايديولوجيا اليسارية (الاشتراكية والشيوعية) في حل مشاكل الطبقات الكادحة الاجتماعية والاقتصادية في الجزائر ومعالجة مشاكل الشعوب المستعمرة بتحقيق العدالة الاجتماعية داخل الأطر الاستعمارية، وجعلتها محل تساؤل فلسفي عميق ، ارتبط أساسا بالمضمون المفاهيمي لأسس الايديولوجيا اليسارية أم انحصر في الآليات المؤهلة لتجسيد تلك الأسس النظرية في الواقع المعيش أم في كلاهما معا؟.

خاتمة :

وفذلكة القول؛ فإن المتتبع لمسار نشاط اليسار في الجزائر من خلال النضال الاجتماعي والسياسي ، منذ نشأته رسميا في إطار الحزب الشيوعي الجزائري 1936أ من خلال مثليه الأوربيين داخل التنظيمات العمالية (الاشتراكية والشيوعية) قبل ذلك التاريخ ، يقف على حقائق متباينة ومتناقضة حول سلسلة المواقف اليسارية من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المحلية . اذ غالبا ما يميل اليسار الى مواجهة صريحة مع الحكومات الفرنسية باللعب على وتر الوطنية الجزائرية ودعمها لكسب الولاء والأنصار بين الجزائريين لتحقيق مكاسب سياسية انتخابية او مواقع هيكلية وأحيانا يتملص منها بطريقة مريبة مبررا ذلك بمخاطر تقسيم الوحدة بين العرقين الجزائري والأوربي ويخدم مصالح الامبريالية العالمية والطغمة الاستيطانية المحلية ، ويدلل على أن التحرير المسبق يكون بالتحرر الاجتماعي وتعزيز الحركة المطلوبة وتجزيرها وسط الجماهير الشعبية والابتعاد عن كل ما يشير الى التحرر السياسي كخطوة حتمية لتحقيق الانعتاق الكامل للشعب الجزائري . إذ كيف يتأتى للييسار في الجزائر ان يجسد مبادئ الايديولوجيا الخاصة بالعدل والمساواة في إطار النظام الاستعماري وان يسعى للجمع بين متناقضين ، لذا كان مسار قبل 1954 من

1 Pierre Pelessier , La bataille d'Alger , Perrin , France , 2002 , p62.

باب إقامة البيّنة على المدعي من أن التحرير الاجتماعي (الحركة المطالبة) كفيلة بالتحرير الشامل , إلى أن اندلعت الثورة التحريرية لتصحيح المسار داخل ايديولوجيا اليسار في تحقيق مثلها الانسانية والاجتماعية أن تكون بالتحرير السياسي وجوبا بتكسير قيود الاستغلال واللاعدل واللاإنسانية التي أوجدها المستعمر الفرنسي بيساره ويمينه السياسي عبر مراحل وفترات من تاريخ الاستعمار في الجزائر.